العدد 2028 - السنة السابعة
الجمعة 13 صفر 1436 - الموافق 5 ديسمبر 2014
Friday 5 December 2014 - No.2028 - 7th Year

لو السما سجن

أحيان من قسوتي أضحك على نفسي
وأحيان من طيبتي أبكي على غيري
وأحيان أجدف بمجدافي ولا أرسي
وأحيان حتى الحروف تخون تعبيري
ياما مواليف نبئني بهم حدسي
وقلوب الاحباب ماهي تحت تدبيري
يامشرق اليوم لاتندم على أمسي
مادام مابرقع الحظ الردي طيري
اليوم عادت ثماني في الهوى خمسي
وأنا الذي مايمل الدلو من بيري
عن ضجة الناس يكفي والصخب همسي
لاصار يعجز عن الاحساس تصويري
الحظ لا قام تبشر بالسما شمسي
وان نام غيرت في الايام تفكيري
ان مرنا السعد قلنا له بعد يمسي
وان راح ماغيرت سوده معاييري
ايماني ان النسيم العسجدي عكسي
يعطيني أبعاد في فكري وتقديري
لو الوفا دين ماكان اشتكى "العبسي"
ولو السما سجن ماكان ابتلى طيري !

فيصل الازوري

نهاوند

هذا القلب ليس لي..!!

■ منذ تلعثمت في حرف الروح الاول حين حاولت قراءة ما علق بها اذ رأيتها الكفة الراجحة لا الكف الخاسر، فتجاوزته للكلمة، للعبارة، للابعد، حتى عدت - بعد رحلة العمر هذه - من جديد الى ذات الحرف فوجدته ينظر الي باسما يقول لي: لو سألتني اجبتك.. فقلت لو اجبتني لما وجدت سؤالي!.

لا أعاني من التشاؤم، لا اعرفه، من قبل ان يراه فيكتور هيجو: سوسة الذكاء، وانا ممسك بالفرشاة، اشغلها، امررها بين فراغات روحي حتى لا يعلق بها سوسة جديدة ابتكرت لقتل الالوان التي لم يسبق ان تخيلتها كما رأيتها تتقافز من بين اعشاب الفرحة واجنحة الفراشات، فالذين لايعرفون كيف يتعاملون مع الفرحة لايقدرون - في الغالب - على صناعتها..!

ليس صعبا ان تجاوز الحزن بنا، حين يتي، هنالك هنا، ما تقدمت مواكبه، ومراكبه، وقدم زهوره باوراق السولفان الانيق، ما يحزننا ان يكون الذين تحبهم، احد شرائطه التي تزينه كما الكفن، فتبحث عن جملة مستوحاة من الغيب الذي لاتعرفه اذ هو مايناسبك كما لو تلولب باختصار الاداب والعلوم والفنون والميتافيزيقيا وما قرأناه وتعلمناه وفهمناه وما نبحث - لانزال - عنه، ان الساكن بي من اشياء زائدة عن حاجة الانسان الراغب في العيش كما هي الصدفة لا الحظ، يرضيه كفافه من كل شيء، فلست مثله، رغم توحد المبدأ ولكن بانشطار الطرق التي لاتجمعنا، وها انا لا ريد اكثر من ان اقف على اصابعي فوق حبل الوقت والحياة المتضاربة التوجهات، المختلفة الجهات، اريد الوصول فقط لضفة اخرى، اتلمس الارض هنالك، ارفع رأسي حين شككت ان السماء نفسها احتفت علي، فقط لأعود طريا من جديد فأتمكن من مواصلة الوقوف على ذات الأصابع والحبل.. فأنا في مثل هذه اللحظات - تماما مثلها - العابرتني في حياتي تكونت وصرت هذا الأنا..!

صرت الذي لا يكمم روحه حتى وان اشتهت الموت بل يطلقها - مأمورة منه - لتقرأ ان ثمة ما يراه هنالك فيذهب معها، حتى جمعتني حرفا حرفا، غصنا غصنا، عرقا عرقا، شعرا، شكا، ظنا، ايمانا، اسرارا من وحي الالق المترجرج، واليقين الخالص.

وليس بوحا خارقا للعادة ان اقول انني - الآن - تحيطني هالة من ضوء، رغبة لذيذة بالتطهر بعد تصحر، فلا أجد المفتاح، فاتذكر انها نفس تذوب فتتقطر، لكن حين اختار ما اظنه الصواب الواحد، والمصاب نفسه، فيعيد القلب يومياته المكرورة وقتذاك احاول ان لا اخطئ.. الا يعزلني التوحد حين يفرق شمل من احب.. رغم رفرفة الحلم اياه واسطورة الغول والعنقاء فاجن حين اكتب احيانا، كما لو تخيلت الامر بكل تفاصيله ولا اتكره، ولا اجزم به كما لو صحوت من الحلم ولا ازال نائما رغم انتهاء العرض، فاحاول التحدث بمنطق لايعرف النوم ولا ادري ان كنت نائما يتحدث بمنطق سئم الصحو فاعتاد تمرير احلامه كما لو كنت مخلصا في التشريح روحي، متجاوزا ألم الجراحة مبتسما بسعادة النتيجة بعد كل توحد.. كالمخلص في عمله كالمخلص لربه، حين شبه بالماشي على الرمل الناعم اذ لا يهمه ان يسمع الاخرون خطواته لكنه يعلم ان آثارها ترى في كل مكان، فطريق الحق لم استوحشه رغم قلة سالكيه كما هي دعوة ابا الحسن رضي الله عنه. بل ان شعرت بأهمية نشر النتاج باختلاف مضامينه بعد هذه السنوات ولا أظن النشر سيضرني قدر التحفظ عليه، ولن يمنعني من حب الخالق سبحانه ان أحببت احد خلقه وفوق ارضه وعلى عينه، فهل من سبيل لننظر - الآن - بعين فولتير مرة واحدة لنرى ، كل فن، يحمل لوا الى الاخر؟!

كلا ليس من سبيل الا بما استمرأت رؤيته العيون المرتابة الخؤونة لتفرح بالشك حين يحقق امنية شاذة، وتحتفل بالوهم حين تمارس من خلاله دورا تمثيليا تظنه الاهم فيما تعرف دون ان تنسى انه الارذل جدا!!

وبما ان الضربة المتوقعة اقل قسوة كما علمنا «فاسكو دا جاما»، غير ان هذا الأمر لم يعفيني ان التنازل عن مقدمة كتبتها قبل وقت لوطئة لقصيدة تعني لي الكثير حينها كقصيدة مجردة الظن انما كتبت بقلب شاعر يجيد الحب فقلت في بعضها ان الناس قد تغفر لك الكره بمنتهى السهولة بل ومن خلال خبرة طويلة تتيح لي التحدث بحرية استطيع القول انه منقبة - اعني الكره - تكتب حولها القصائد في تراثنا والذي ساتجاوز التعليق عليه الآن حفاظا على الوقت والزمان والصحة كذلك!

فلا تأس عليك من سكنة لأي ما يتحدث بلك قلب لسان، اي ما يريدون، وحتى لا اقوت على نفسي أي فرصة في تعكير اي صفو ساقول: سحقا حقا لهذه الفوضى القائلة فلن اموت ان كان لاسبيل غيره؛ فبيدي لا بيد الشقا!

سعيد انا بما اصابني من الصوبين والصوبين فقد يفتقر الجمال إلى فضيلة، اما الفضيلة فلا تفتقر الى الجمال ابدا كما علمنا الريحاني أمين، وتعلمنا بعد ذلك التحدث عن تفاصيلنا الجميلة براحة شديدة وبشكل ادق فإني قد اكتملت رؤيتي وتماهت بالذي يسكنني، فاكره ان انضم هذه اللحظات الى تشرشل ولن اعتمد قوله الذي يربكني احيانا حين الكون قاب قوسين من المرور بقرى المتربصين بعابري النخيل والسبيل :ان الدرس الأعظم في الحياة ان تعرف بان الحمقى يكونون على الصواب احيانا:!

ساتجاهل قوله رغم بعض الآراء التي رأيتها عجبت كيف فكرت وكيف حلت وكيف راق لها ان تجمع الأجزاء لتصنع قصة بعد ان يلثر :الانسان، كتابة ما، القتها في روعة حمائم السلام الذكي فاصبحت من دواهي السحر وكأنها تمارس الارهاب اذ تحولت القراءات المتخلفة الى غول اشعر بانفاسه التي تتنحنح لا الرهبة منه بل الرغبة في رفع صوت قلبي قدر استطاعتي فان ساعاتنا في الحب لها اجنحة ولها في الفراق مخالب كما تمتم شكسبير ذات امس!

اعرفني حين التورط بالماء، فثمة ما حدث بلحظة عابرة، وما حاولته في لحظة عامرة بالسماء، عامرة للروح تماهت حد الانفلات من جذور القوانين والنواميس لافك وثاق القول جازما به متكئا عليه، انني منذ اول خفقة للقلب خجلت الروح ان تتدارى عن المطر بعد جفاف طويل جدا لتستعيض عن كل هذا بمظلة صدئة..!

سأحتاج دهرا اضافيا لو اردت الاستعانة بالصرخة المناسبة كما اريد بقياس حاد جدا ليصف المرحلة القصوى، فلن اخطئ لأعيد للقلب يومياته المكرورة حين ترفد.. وها انا للآن احاول ان لايعزلني التوحد حين يفرق شمل من احب.. رغم رفرفة الحلم اياه واسطورة الغول والعنقاء!

اعرف جيدا كيف، وكم، وماهي الحاجة اذ سبق لي ذات انسانية ان تمنيت نسف قوتي والتجرد منها لاظهار ضعفي وحاجتي حين تميد ارض روحي احتاجها مثالا للكمال المرضي لا بقبول اليسير منها حيث لا تكون الا امام من تحب وتثق انه الوحيد، والوحيد فقط فوق سطح الارض حيث تعيش وفي اللحظة نفسها القادر على احتواء الامر وبايمانه بك وحاجته مثلك بأن يرى اللحظة تلك، حين تتجلى امام عينيه قيامتي وبعثي ويكون قادرا على فهم الأمر ومشاهدة الحال والحالة لا على تسجيلها وتلاقيها ليراك اقل من قول ان اخطأ وضل!

فسطحي ويلبد القياس بالوقت، اوالظن بالمسافات انها العنصر الاهم تأثيرا ليكون البعض بيننا هم الاحبة الاجمل والاجل، واكثرهم قربا والى هذا الحد وبهذه الاهمية، لا فاتنا منا الكثير بسبب الظن، او الجهل، او الغباء وهو الوصف الدقيق والجريء حين يكون دليلك للنجاة معك وبك ويرشدك لما سواه من المتاهات التي تنتهي منها لتبدأ بغيرها!!

لن اسمح باكثر من ذلك، لن اسمح به، فثمة من وخز القلب واشار له بريبة ظنا موجودة ليست له.. يا لقلبي.. كم صرخت في وجهه ان القلب الذي يقودني للهاوية - اختيارا طائرا - ليس قلبي.. لا عرفه..

وسارمي به في اقرب سلة مهملات مودعا الجموع متمتما: هذا القلب ليس لي..!!

وحمد الله سبحانه العالم بذنوبي والساتر عيوبي والفاتح امثالي فرصا جديدة - ولا يزال يمنحهم منذ سنوات - كان قريبا فاشار لي بهذا.. فانا لم اتردد ذات ايمان وفهم من صلب العجب على مراى ومسمع الجميع كذلك دون ان ارى بالصلب ما راه ابو الحسن الانباري حين رأى ابن بقية الوزير العظيم مصلوبا بسبب عجز الاخرين عن اللحاق به فانشد:

علو في الحياة وفي الممات
لحق تلك احدى المعجزات

وان كنت زمنا، لا انتظر ولا اتوقع من اشواك الوحدة غير تجهم يباسها لا ان تفوح بالعطر وتنبت زهرتها البرية النبيلة كأنها تلثو من رحم الأرض.

فهد دوحان
fhddohan@hotmail.com